

تاريخ القبول: 2023/03/19

تاريخ الإرسال: 2022/12/06

تاريخ النشر: 2023/06/03

إبداع المرأة بين إثبات ذاتها وتكران الذات الأخرى.

A woman's creativity between self-affirmation and denial of the other self.

محمد العيمش

جامعة تيارت ، ملحقة قصر الشلالة، (الجزائر) ؛ mohamed.launiv-tiaret.dz

الملخص:

إن (أدب المرأة) أو كما يسميه البعض (أدب الأنثى) وإن كانت الآراء قد اختلفت حوله، بحث فيه العديد من المفكرين و النقاد والأدباء، واصطبغت به أبحاثهم لتبين عن مسحة إبداعية جديدة للعنصر النسوي في الحقل الأدبي، وهي تجربة رفضها الرجل ضانا منه أن الإبداع حكر له ولا يمكن للمرأة أن تجرب قلمها فيه.

إن تصنيف الأدب إلى صنفين: أنثوي و ذكوري لا يمت بصلة إلى التنافس في الإبداع؛ ذلك لأن المرأة في كتابات لا تريد أن تفرض حضورها الأنثوي فقط إنما تعكس واقعا اجتماعيا متعدد الأوجه كغيرها من الذات الذكورية في إطار رؤية فكرية ناضجة وفارقة تعبر عن نفسها، و قادرة على الإبداع. إذن فهي رؤية هادفة وبناءة ووجب تثمينها لتكون مصدر فخر واعتزاز في إطار ثوابت الأمة.

الهدف من البحث: -تشخيص مصطلح "أدب المرأة" وتوضيح أهدافه وأهميته.

الأهمية: - أدب المرأة قيمة مضافة في ميدان الفكر والإبداع ووجب على الباحثين الاهتمام بها والترويج لها بدل من خنقها وإيجاد بؤر التوتر والاختلاف حولها.

الكلمات المفتاحية: أدب المرأة، الأدب الأنثوي، الإبداع، قيمة مضافة.

Abstract:

Women's literature, or as some call it (female literature), has been researched by many researchers, and it is clear that there is a new creative tinge to the feminist element in the literary field. feminine and masculine literature have nothing to do with competition in creativity; Her creativity reflects a social reality like other masculine self within the framework of a mature intellectual vision, which has the right to be a source of pride and pride within the framework of the nation's constants.

The aim of the research:

Diagnose the term "mirror literature" and clarify its objectives and importance.

Importance: Women's literature is an added value in the field of thought and creativity, and it must be valued and promoted instead of stifling and disagreeing about it.

Keywords: women's literature, female literature, creativity, added value

محمد العيمش، MOHAMED.LAIMECHE@UNIV-TIARET.DZ

1. مقدمة:

إن "الكتابة النسوية" أو "الأدب النسوي" مصطلحٌ فضفاضٌ بما يثيره من سجالات، وما يُسجل حوله من تحفظات، أهو "أدب نسائي"، أم "أدب نسوي"، أم "أدب المرأة"؟ كما وسم أيضا بـ "أدب الأنثى" وهذه المصطاحات كلها مرتبطة بالنص الأدبي الذي تنتجه المرأة خصوصا لتعالج فيه قضاياها وتسوقها سوقا إلى القارئ دفاعا عن حقوقها وحريتها، وليس شرطا أن يكون الكاتب فيه امرأة بالضرورة، هذا ولم

يتفق أغلب النقاد والأدباء على مفهوم هذا الجنس من الأدب، وهم بين مؤيد ومعارض للمصطلح، وكل له حججه. مما أفضى إلى طرح الإشكالات الآتية:

ما الأدب النسائي؟ ولما هذا الشرح بين النقاد والأدباء في تحديد هذا المصطلح؟ وهل هناك فروق بينه وبين الأدب الذكوري؟ في حدود هذه الهوية العميقة في ضبط المفهوم وهذه التساؤلات وغيرها سنحاول مناقشتها في ثنايا هذا البحث، ومن بين الأهداف التي نسعى لتسجيلها كآتي:

- الوقوف على مختلف الآراء حول مفهوم الأدب النسائي وما لحقه من تسميات.
- القضايا التي يعالجها الأدب النسائي.

أما المنهجية المتبعة في إنجاز البحث أنجزنا ملخصا وضحنا فيه الخطوط العريضة للبحث، بداية بملخص شامل حول مضامينه بالعربية والإنجليزية في حدود مائة كلمة مع تبيان أهداف البحث، وأهميته وتسجيل الكلمات المفتاحية، ثم أردنا مقدمة وهي في تصورنا بمثابة تمهيد مناسب للموضوع المطروق، مع طرح إشكالية مناسبة أيضا في صميم الموضوع المعالج، ثم تطرقنا إلى لب الموضوع وفق العناصر المدرجة لمناقشتها كما سيأتي لاحقا، وأخيرا ذيلنا بحثنا هذا بخاتمة لخصنا فيها ما ورد في مضمون البحث، مع الإشارة إلى أهم النتائج المتوصل إليها حول ظاهرة الأدب النسائي وتقديم اقتراحات تخص هذا اللون الأدبي لدى المرأة الذي جاء ليوصفَ السلطة الذكورية عليها في الحقل الفكري والإبداعي ردحا من الزمن.

أما المنهج الذي فرض نفسه في مناقشة هذا الموضوع فهو وصفي تاريخي؛ لأننا بصدد توصيف وتأريخ لجنس أدبي تناولته المرأة لتشخيص ومعالجة حالتها الاجتماعية والثقافية والفكرية، وتطاول فيها الرجل عليها لحقبة تاريخية طويلة محاولا إقصاءها بشتى الطرق وبظرة دونية ناكرا عليها ذاتيتها وتفردها واختلافها مما زرع تموقعها في الساحة الأدبية والفكرية موطدا سلطته الذكورية.

2. دوافع ظهور الإبداع النسوي.

1.2 فكرة ظهور الأدب النسوي:

ظهر الإبداع النسوي كرد فعل نتيجة محاولة إقصائها من الساحة الإبداعية مما حدا بهن إلى توظيف نصوص مشحونة بالاحتجاج والرفض لوضع المرأة العربية المتنوع في مجتمعات تُبجِّدُ سلطة الرجل وتتهب كيان المرأة¹ مسحا للعار الذي حطم ذاتها، واستباح فكرها، مسلطا عليه جميع أساليب العنف، فتحررت من ثقافة الإقصاء، ومن هنا حاولت إقحام ذاتها عالم الإبداع وسط العنصر الذكوري، لتفجير طاقتها وقدرتها على الإنتاج الفكري والإبداعي.²، ولإبراز نشاطها في المجال الفكري المتجذر عبر التاريخ كنوع من النشاط في الفضاء الذكوري الذي حاول تهميشها عبر فترات متزامنة، ولم ير في نتاجها الفكري والأدبي والثقافي إلا صُراخاً مجرداً من كل الجوانب الجمالية والفنية التي تلامس العمل الأدبي.³

وكل هذه التخمينات توحى بوجود كتابات نسائية رافضة لأحادية الكتابة الذكورية، فهي طفرة إبداعية جديدة متمردة بدأت تعلن عن وجودها وتسجل فلسفتها في الفضاء الأدبي الذي كان مقتصرًا على الرجل، لإزاحة الذات الأخرى⁴، وهذا ما دفع بها إلى تغيير التركيبة اللغوية التقليدية التي تدعو إلى الانسلاخ من القيود التي تُضَبِّطُ فكرها، هذا الانسلاخ من شأنه الممازجة أو المساواة بين الجنسين في الإبداع، ولا مفاضلة بينهما إلاّ المعايير والضوابط التي تحكم العمل الأدبي والفكري، فترفع من هذا أو تحطّ ذاك، والإبداع في النهاية عاملٌ مشتركٌ وصرح ثقافي مُشاعٌ بين العالم الذكوري والنسائي، بشرط أن يكون هادفاً، وبناءً، ومن هنا يمكن إزاحة الفتيقيل الفكري القائم بين الجنسين.⁵

ويومئذ بدأت الصحوّة النسائية في التشكيل والكتابة تبحث لتقوم ذاتها في ثنايا العمل الفكري، عبر العديد من المسارات التي تعالج قضايا المجتمع

الاجتماعية، والنفسية، وهي في الحقيقة ذات قيمة إضافية فكرية وجمالية في العالم الرجولي.⁶ ومن هنا تم فرضت ذاتها في الإنتاج الكتابي النموذجي، وهذا ضمن نشاط أنثوي متكاثف ودعوب يرفض تعميم الفكر لديها وشيوع الفكر لدى الذات الأخرى، فكان إبداعها رسالة قوية إلى قرينها الرجل بأن الإبداع ليس حكرا عليه، ولا داعي لفرض منطق التصنيف البيولوجي للفصل بينهما، والرسالة السماوية فصلت القول تفصيلا في ذلك، بيد أننا هنا لا ندع إلى تمرد قلم المرأة إلا فيما يخدم الأدب والنقد والهوية والقيم الإسلامية.

2.2 الأدب الأنثوي أو النسوي بين إثبات الذات ونكران الآخر:

إن الأدب النسائي مصطلح متشعب المفهوم، ظهر كظفرة فكرية عند الجنس الآخر، حيث اتفق الباحثون على اعتبار أن الأنوثة تعني الاعتراف بالمرأة وبسط الحرية لها للبحث والإبداع في جميع المجالات بعيدا عن ازدواجية المعايير الفكرية⁷ وبحكم إبداعهن الذي هو سمة الهوية الوطنية الثقافية والفكرية أصبح ما تنتسجه أقلامها فكرا متمازجا، يعالج قضاياها، أفرز هذا التلاطم الفكري إلى ظهور أصوات العديد من نساء الغرب كتيار مناهض للفكر الآخر، اتخذت من الأدب نتاجا معبرا عن الحقوق الضائعة، ولاسيما حق الأمومة، وقد وضحت المرأة في شعرها في تلك المرحلة وعيها الفكري، الذي لا يبتعد كثيرا عن الرجل.

إن الحيادية في الكتابة الذكورية أدى تقريبا إلى تغييب المرأة المبدعة من دائرة الإنتاج الأدبي والفكري عموما⁸ ، لذلك كان إبداعها حيزا استطاع أن يُشخص كل نقاط التوتر الإبداعي، والتي ظلت تؤرق ضميرها الجمعي في الحقل الإبداعي، حاولت التوجهات النقدية التي بحثت في إشكالية "الأدب الأنثوي معالجة الخلفيات الثقافية التي تدعو إلى إزاحة هذا اللون من الأدب الذي فرض نفسه في الواقع الفكري.⁹

إن هذا التوجه الجديد في الإبداع عند الذات الأخرى من شأنه أن جعل الاهتمام يتزايد بإبداع المرأة ونقده، وظهر أقلام نسوية عديدة، فولد هذا اتجاهات وتيارات فكرية عربية وغربية، مما نجم عنه تصورات راديكالية تدافع عن الأدب النسوي، وأخرى ترفضه وتقف مع الإبداع الذي يفرض كيانه بصرف النظر عن الجنس والجنس الآخر، ورؤى ثلاثة معتدلة تجمع بين الطرحين¹⁰، وعلى هذا الأساس صرخت المرأة المبدعة رافضة التفريق بين كتابات الجنسين رغم شعورها بأن النتاج الفكري بينهما غير متجانس.¹¹

إن مسألة غموض مصطلح "الأدب النسوي" عند السواد الأعظم من النقاد حصروه بين ثنائية "الرفض والقبول"، هذا الذي أدى بالكتابة النسائية لأن تُصبح نقطة شقاق بين الدافعية في الكتابة وغالبا ما تكون جياشة عند المرأة، وبين مجتمع يُظهر اتجاه تلك الرغبة تلميحا، أو تصريحاً، أو سخرية، واستهزاء، وهي سمة غالبية لدى الإبداع الذكوري¹²، وتساوت في هذا المرأة العربية والغربية كونهما عاشتا ظروف قهر وتهميش واحدة من لدن الرجال، فدفعت بقضبان الرجل التي أحاطت بها لتُخْرِجَ من دائرة الحرمان الفكري وتجسد واقعه من جديد، ويومها فطنت من غفلتها المسالطة عليها نتيجة عوامل ثلاثة شاركت في ظهور وعيها.¹³

- زحف الحركة النسوية الغربية العالمية، في فترة السبعينات، والذي يشكل في نظرنا المرجعية الأساسية للحركات النسوية الحالية في الوطن العربي.
- نضج الوعي النسوي وتردي أوضاعهن الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

- بروز تيار التجديد والإصلاح وما كان له من دور فعال، وأثر إيجابي في بلورة الوعي النسائي خاصة، وأنه عمل اجتماعي وثقافي داخلي، أي وليد المجتمعات العربية نفسها.

وهنا يجب التنبيه إلى وجود ثلاثة اتجاهات نقدية مختلفة ظهرت حول مصطلح "الكتابة عند العنصر النسوي" على أساس ظهور الجنس الآخر، وخاصة التأنيث هذه أثقلت كلماتها في وسط الإبداع الذكوري وهنا ابتعدت المرأة حقيقة عن الكتابة، ففاضلت لسنين طوال بغية انتزاع حقها سالكة أحيانا أنماطا كثيرة غير محمودة للغش والخيانة والتدليس لاستعطاف المتلقي واكتشاف كلماتها وحماية إبداعها أمام سطوة الرجل¹⁴، والناظر في مصطلح "الكتابة النسوية" يجد من المصطلحات النقدية المتشعبة، والتي أفرزت عدة إشكالات عميقة في الرسالة الخطابية التي تكتبها المرأة ومن هنا وجب التفكير في إيجاد مبررات كافية ومقنعة، لتأكيد خصوصية النسيج الكلامي الذي تكتبه المرأة.¹⁵

لقد تنوعت المحاولات النقدية لضبط هذا المصطلح "الأدب النسوي" والإحاطة به بعد تداخل مسمياته، حيث طرح الكثير من النقاش، نظرا للغموض الذي شاب مضمونها وعممه بالجملة، وفي الحقيقة أن المنطق الفكري لا يفرق بين مسميات المبدعين إذا اتضح مقصدها¹⁶، وتبعاً لهذا باتت هذه التسميات زئبقية متعدد الدلالات والأبعاد، الشيء الذي باين بين النقاد في عدم اتفاقهم على مفهوم نقدي واحد، فمنهم من جنح إلى أدب المرأة، والآخر إلى النسائية، وطرف آخر وسمه بأدب الأنوثة، فهذه المسألة غالبا ما يتولد عنها إشكالية في استعمال وتوظيف المصطلحات، فتجد المصطلح متضارب الدلالات، والأدهى والأمر أن ترى المبدع أو الكاتب نفسه يوظف المصطلحات دون تمييز بين معانيها المختلفة.¹⁷

إن ذبوع المصطلح في الثقافة والأدب العربيين، تزامن بشكل كبير مع ظهور جيل جديد من المبدعات العربيات، عملن على تطوير ممارسة الكتابة لديهن¹⁸، والمتتبع لهذا اللون من الإبداع يلاحظ أن هناك شرحاً نقدياً، وقع فيها هذا المفهوم من طرف الكثير من النقاد، فبعضهم يتعاطى مع مصطلح "الإبداع

النسوي" أو "الأثنوي"، و"الآخر يبعده من الساحة الإبداعية، في حين لا يبالي به آخرون ويصفونه بالقلم المتمرد.¹⁹

إن الزخم الفكري الذي انتهت إليه المرأة المبدعة في كتاباتها على مستوى أنوثتها مفتوحة على مسميات سبق الإشارة إليها، وهذه المسميات المتعددة تناولتها أقلام عربية نسائية على غرار "زهرة الجلاصي" و"نازك الأعرجي" و"شيرين أبو النجا" و"رشيدة بن مسعود"، و"نعيمه هدى المدغيري"، و"جلىلة الطريطر"، وغيرهن من الناقدات العربيات، والمتمحص لهذه الآراء النقدية يلحظ أن كل ناقدة أدلت بدلوها من الجهة التي ترى فيها إبداع بني جنسها النسوي ومستويات تفوقها النقدي والجمالي والفني، فما هي المصطلحات أو التسميات التي يمكن أن تتزاحم وتتداخل في الإنتاج الأدبي النسوي؟ والإجابة عن هذا السؤال تقتضي مناقشة آراء ثلاث:

3. منحى الإبداع عند المرأة العربية:

إن هذا الجنس من الإبداع ساهم في تحرير كيائها من سطوة الرجل لحقها في إثبات ذاتها الإبداعية، وإعطاء نموذج عن ذاتها للمتلقي حتى يتقهم خصوصيتها الحقيقية دون وسائط مادية أو فكرية تحول بينها وبين المتلقي، فكان لابد للمبدعة العربية من مناحي فكرية تمهد من خلالها نظرتها للواقع والذات والعالم المحيط بها لكي تستطيع نقل ثقافتها للآخر دون قرائن، وهذه المناحي هي كالاتي:

1.3 منحى ينادي بمصطلح الأدب النسائي:

إن حيزَ مصطلح "الأدب النسائي" يحمل في ثناياه معنى التخصص الموحى بالحصر والانغلاق في دائرة جنس الأدب الأثنوي، وما تكتبه من وجهة نظرهن سواء أكانت هذه الكتابة عن الحقل الأثنوي أو الذكوري أم عن أي موضوع آخر، فخصوصيات الكتابة النسائية لا تعني وجود تميز مطلق بين الجنسين

المبدعين، وهذا يُبعدُ فكرة كون المرأة الكاتبة قد قرأت الكثير من الأعمال الأدبية لكتّاب رجال وانطبعت بنماذجهم الثقافية.²⁰

إن الأدب الإنثائي "النسائي" لا يعني بالضرورة أن المرأة سطرته، بل يعني صراحة أن مجاله نسائي، الممارسة دائما متغيرة زمانيا ومكانيا ومستويات المجتمع وخلفيته الثقافية والجنس والخبرات الهامشية، وعندئذ لا يمكننا تغافل هذه العوامل لوضع الأعمال الإبداعية في بوتقة واحدة ووسمها بـ "أدب نسائي" وإلا أصبحنا في المطلق مرة أخرى بصورة نمطية²¹، إذن فالأدب النسائي مصطلح يسبح مابين مؤيد ومعارض وفيما بينها تظهر أشكال من التطرف في الحكم، وهذا لكون هذا المصطلح يختزن في طياته على هامش من التحقير للمرأة وتصنيفها في مرتبة دونية، وهذا ليس إلا ترجمانا للواقع الاجتماعي الذي كانت تعيشه المرأة بشكل أهان كرامتها عبر التاريخ الإنساني.²²

إن العديد من الناقدات ممن فاضلن استعمال هذا المصطلح في طرحهن كما عند" الناقدة خالدة سعيد" في كتابها "المرأة التحرر والإبداع" فقد انطلقت في مقارنة "الأدب النسائي" مصطلحا من كونه يبقى مضمونا شديد التعميم رغم شيوعه والغموض رغم كثرة استعماله²³، في حين إن ميزة أدب المرأة ليست خصوصية فنية بل هي خصوصية صادرة عن وعي محدد لدى الكاتبة التي تنتمي إلى فئة اجتماعية، تعيش ظروفًا تاريخية خاصة²⁴، ورغم ذلك هناك من رفض هذا المفهوم والتي تقرن برفض التصور النقدي الذي يفرق بين الأدب مدلولًا عامًا والأدب النسائي مدلولًا خاصًا، لتقر بوجود "نتاج ثوري" يلغي مقولة التمييز بين الأدب النسائي والأدب كحقل مشترك بين الجميع²⁵، لكون إنتاج المرأة العربية يعتبر قفزة نوعية للتحرر، ومحاولة التخلص من التصنيف الفئوي.²⁶

إن معظم الكاتبات العربيات فلسفتين واحدة في الاتفاق على رفض مصطلح "أدب المرأة" بموسوماته التي تشير إلى أشكال من الكتابة التي تسطرها المرأة، ولعل الأسباب التي كانت وراء هذا الإلغاء الصريح تكمن في ما يتوفر عليه هذا المصطلح من دلالات مملوءة بالمفاهيم التي تحتقر المرأة وتجعلها دون مرتبة الرجل ولاحقة له، وهو المفهوم السائد في المجتمعات العربية باعتباره إحدى قناعاتها المحددة لنظرتها للمرأة ومنزلتها الاجتماعية والعلمية.

وعموماً إن الجروح إلى رفض مصطلح "الأدب النسائي" أو "أدب المرأة" أو "الكتابة النسائية" عند النقاد والكاتبات على حد سواء، يعود في تصورنا إلى قصور النقد العربي الذي اقتصر على مقارنة هذه الكتابة الظاهرة على الخارج دون أن يسعى إلى تناولها من الداخل بالبحث في أنساقها الفكرية والجمالية، بالإضافة إلى ذلك نجد صعوبة كبيرة في إدراك المفهوم الصحيح لـ "الأدب النسائي" والذي يجب ألا يُشخَّص ويُصنَّف من جانب الرجل، بل من منظور المرأة المفكرة الكاتبة، حتى تنزاح عن الوقوع في المطلق الذكوري نفسه لهذا الجنس من الأدب الذي تنتجه، كما نجد أن خوف المرأة من إحقاق سمة الدونية بها وكتابتها في الآن ذاته هو الذي يعطل نزعة رفضها لتسمية "أدب النساء"، ومن هنا فهذه العوامل كلها تصور حالات الإبداع النسوي.²⁷

2.3 منحى ينادي بمصطلح الأدب الأنثوي:

إن مصطلح الأنثى يوحي بالوظيفة البيولوجية للمرأة، نتيجة لتوظيف اللفظ في وصف معايير الضعف "الرقة والاستسلام والسلبية..."، حيث إن لفظ "أنثوي" في معجم المصطلحات يدل على عوالم الأنثى الموصوفة آنفاً، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون تصنيف النص بـ "النص النسوي"؛ أي نصاً مكتوباً بلسان المرأة، إذ يمكن للرجل أن يسطر نصاً أنثوياً، ومرجعية ذلك شاعر المرة كما يقال " نزار

قباني" الذي رفض تسميته بهذا بناء على النوع، وعليه تقترح الناقدة "زهرة الجلاصي": استخدام مصطلح "النص الأنثوي" بدلاً عن مصطلح "الكتابة النسوية" مؤكدة على التعارض القائم بين المصطلحين من حيث الدلالة والمعنى المعجمي، إذ نجده يشير إلى نوع من الكتابة النقدية النسائية، التي تولدت من نسوية الناقدات الفرنسيات المعاصرات، واللواتي تبحثن لأنفسهن عن التأسيس الفعلي.²⁸

إن مصطلح النص الأنثوي مفهوم دال بنفسه من خلال نماذج الاختلاف المباشرة، إذ نجده في غنى عن المقابلة التقليدية (مؤنث/مذكر)، وعليه فمفهوم الأنوثة بشكل عام هو مزيج أو سيرورة ثقافية²⁹، ولفظ الأنثوية يطلق على الإبداع النسوي، أو النسائي، أو أدب الأنثى.³⁰ وهي في النهاية تعريفات تكرر ظاهرة العبودية للسلطة الأبوية الفكرية، في حين ترفض بعض الناقدات هذه المهاجنة الاصطلاحية.³¹

3.3 منحي ينادي بمصطلح الأدب النسوي:

إن فلسفة "النص النسوي" بات الأكثر دلالة إلى حد كبير ضمن ثنائية الكتابة عند المرأة والرجل، فالنسوية تعني حقها في معالجة قضايا المرأة وإبداعها، وما تحمله من خصوصيات تجعل منه ظاهرة مميزة وعلامة دالة في حق الإبداع الأدبي³²، فهي إذن غير محشورة ضمن خطاب هدفه النضال لإثبات وجود ذاتها ويسعى إلى تحقيق المساواة مع الجنس الآخر؛ لكنه فكر يهدف إلى دراسة مسحية لتاريخ المرأة وإلى تأكيد حقها في الاختلاف، وإبراز صوتها الإبداعي.³³

ومن هنا تصل صوتها إلى المتلقي بأن هناك لغة أنثوية ذات تجربة إبداعية وخصوصية نسوية تميزها عن غيرها.³⁴ فهي المؤهلة في تصوير مختلف جوانب تجربتها الخاصة، وما تخفيه من مكنونات، ورغبات وآهات، وهذا الرأي قد استأنست إليه الكثير من المبدعات، لكن مع وجود خصوصيات على مستوى الفكر لا يستطيع أن تنكرها الذات الأخرى.

ومن هذا المنطلق تم اعتماد اقتراح (توريل مووي) في التمييز بين المصطلحات "النسوية، الأنثى، الأنوثة"، ذلك الذي أشارت إليه "تعيمة هدى المدغري" حيث تقول إن: الداعيات إلى النسوية استعملن هذه المصطلحات خلال ثمانينيات القرن العشرين بطرق مختلفة ولذلك اقترحت "توريل مووي" مسألة التمييز المبدئي بين النسوية على أنها قضية سياسية، والأنثى على أنها مسألة بيولوجية طبيعية، والأنوثة على أنها مجموع خواص محددة ثقافياً، وبالتالي تدخل في إطار مفهوم حضاري، مقارنة بالرجل الذي كانت منافذ التعبير متاحة أمامه ومفتوحة، ففكرة اللغة النسائية عريقة، وكثيراً ما كانت تظهر في الفولكلور وفي الأساطير والإبداعات.

إن نشاط أو "تحرك" المرأة الإبداعي ظهر في أواخر الستينات من القرن العشرين، حيث رسمت خلاله نمودجا معيناً من الكلام السياسي، تحت مصطلح "النقد النسائي" أو "النظرية النسوية"، وهو تطبيقي ونظري يسعى إلى تقسيم العمل الأدبي والنقدي مع الطرف الآخر، ومعرفة مكانتها عنده من حيث الحرية في التعبير، لتجسد حياة القهر والمغالطات فيه مع هذا القرن المتسلط بين الفينة والأخرى الذي تمكن من إزاحتها من داخل المحيط الإبداعي.

إن هذه الإزاحة منقصة بيّنة لا تُعتقر وقع فيها المبدع الذكر في مراحل تاريخية من الولوج في عالم الإبداع الأدبي بالمستوى الذي وصل إليه الرجل المبدع فنياً وجمالياً، وخاصة وأن التاريخ الذكوري بث فيها القناعة بضعفها وعدم قدرتها على الإبداع، وهذا ما جعل الرجل المبدع يتعاطى مع إبداعها بنوع من الزجر والردع، والتهميش، إنها ضريبة الإبداع للجنس الآخر، لذلك كان ابتعادها عن الكتابة يرجع أساساً إلى هذا التأنيث الذي أثقل كلمتها، فظلت تناضل بغية تنبه المستمع واكتشاف كلمتها وحماية فكرها.³⁵

إن مصطلح (الإبداع النسوي) مجال واسع له دلالاته المتنوعة لينسحب على الأدب الذي تكتبه النساء والرجال عن المرأة، ويصور مختلف تجارب النساء اليومية من هموم، ووعي فكري فكتابتها مرتبطة بقضاياها واهتماماتها والدفاع عن أفكارها، أما الكتابة النسائية فلها علاقة مباشرة بالإبداع الأدبي وبالنصوص الإبداعية التي تخص عوالم المرأة الخاصة والذاتية.³⁶ إنها نموذج الأدب الحقيقي الحاضر كفلسفة ومخالفة للسلطة الذكورية الأبوية³⁷، وبذلك كشفت الإبداعات النسوية حينها عن الميكانيزمات التي تعمل بها السلطة الذكورية على ترسيخ الاضطهاد النفسي، وازدواجية المعايير، ومع ذلك فعندما تكتب المرأة يبقى للنص الأنتوي خصوصيته إذ يكسر الصمت ويقدم رؤية جديدة لم يعتد عليها الخطاب العربي من قبل بشقيه الإبداعي والنقدي³⁸، إلا أن سطوة الرجل على المرأة بقيت تاريخياً، واجتماعياً ونفسياً وثقافياً، وبيولوجياً واقتصادياً ولغوياً.

النظرية الأدبية لدى المرأة المبدعة ترى أن الكتابة النسوية كتابة ضد الهيمنة الذكورية؛ أي إنها كتابة مؤدلجة، ومهما يكن من أمر فالمعنى الذي يتصل بالموقف السياسي من المرأة بعامة، والذي يتصل بالقضايا الثقافية الخاصة بها، فسوف يعبر عنه ب(النسوي أو النسائي)، أما الذي يتعلق بالجانب البيولوجي، فيعبر عنه بلفظ (أنتوي) وإن كان التضارب في التسميات ما زال قائماً حتى في البحوث الحديثة.³⁹ وعموماً فإن المرأة الكاتبة كانت بحاجة إلى ولوج فعل الكتابة وحسب التحليل العلمي لـ"غريماس" فهي تحتاج إلى الممارسة الإجرائية التي تثبت كيانها.⁴⁰

إن نتاج المرأة عموماً أو ما عُرفَ بـ"الأدب النسوي" لاقى إشكاليات نقدية في الحقل الأدبي لأسباب عدة منها: عدم إدراك مفهوم الأدب النسوي، أو ما يسمى عند الآخرين بالأدب الأنتوي، والحكم عليه من دون الإلمام بتاريخه، ومدلولاته فضلاً

عن غموضه وهلاميته، فكثير من المبدعات العربيات تعاملن بحذر شديد مع مصطلح الأدب النسوي؛ لأنهن كن يشعرن بأن مخططهن الكتابي ينطلق من موقع فنوي محدود فلا هن يمثلن سلطة ثقافية راسخة في التاريخ، ولا هن قادرات بفعل ذلك على إدراج كتاباتهن في مرجعيات إبداعية نسائية. العديد من المبدعات رفضنه؛ لأنه يفرض عليهن البقاء في دائرة ضيقة من الكتابة، وهي الكتابة عن المرأة فقط.⁴¹

مما جعل هذا المصطلح يتشكل نسويًا في ضوء قيمته الإنسانية والإبداعية التي لا تعني بأي حال دونية ما، كما يعبر عنها البعض في ظل القيد المحكم على كل ما يختلج ذات المرأة، وما تنتجه من أفكار، وفنون، وآداب تصور الطابع النفسي والتركيب الاجتماعي للمرأة ضمن دائرة الرقيب، إذ سلكت الكاتبات في هذه المرحلة أثناء طرح القضايا نهج الاحتجاج والرفض والتحدي الذي كان وليد ذلك الصراع الذي فرض على المرأة معاشته، فتمردت محاولة تخطي الحواجز الذي سيجها بها المجتمع.

وفي منهج آخر نجد أن العديد من المبدعات العربيات قد لاحظن في مفهوم الأدب النسوي نوعًا من التوافق المفهومي الذي يتماشى وأنوتتهن في إثبات الموازنة بين الجنسين، فلا داعي إلى النظرة الدونية والضيقة، ولا لتسطين فلسفة الإقصاء للبنى والصور والعلاقات بين الرجل والمرأة، ووصولًا إلى إدراج موقعها الأدبي، ليرد قلمها معبرًا عن انشغالها وقلقها الدائم علها تُشيدُ منارة لتقول للآخر، إنها الاندفاعية الذاتية للأنوتة في الساحة الأدبية والفكرية.⁴²

لقد لوحظ حراكٌ أدبي فكري في الوسط النسوي اللواتي يتشددن للمفهوم ويُبالغن في توجيهه حتى ساقهم الحال إلى عزل وتهميش الفئة التي تعترضن على مفهوم "الأدب النسوي" ووصفوهن بـ"التبع للرجل"، فهذا المفهوم أو المصطلح كان بمثابة تأسيس لوجود المرأة وترسيخ دورها المحوري، وفعاليتها في المجتمع، ووضع النقّاد

معايير تحكم نتائجها الفكري، غير تلك التي يُحكّمون بها نتاج الرجل، شريطة أن لا تمسّ الدين والفناعات الأخرى، وأن تكتب أو تروي لقرائها ما يريده منها، وإن أرادت أن تلج مجال الكتابة، فلا تحيد عن الوظيفة المجتمعية التي وُكّلت لها.⁴³

4. خاتمة:

إشكالية مصطلح أدب المرأة أو النسوي تبقى مسألة زئبقية، خاصة في ظل رفضه من طرف العديد من النساء المبدعات لما وجدن فيه من خطورة في تصنيف كل ما كتبه المرأة تحت اسم "الأدب النسوي"، فقد يكرس الهيمنة النسوية تحت مظلة الإبداع الأدبي مما يشكل نوعاً من التصنيف على مستوى الذات المبدعة، فيخرج بذلك عن معيار الإنسانية التي تبحث عن التكامل الفكري والأدبي، وعليه فمسألة المصطلح وإشكالاته التي ظهرت على الساحة الأدبية، قد طرحت زوايا واتجاهات مختلفة حول مصطلح "الأدب النسوي"، بهذه التسمية وما تتطوي عليه من دلالات، وحتى في داخل صفوف المعترضين.

المنتبع لهذا النوع من الإبداع يلحظ أن هناك تبايناً في أسباب الاعتراض، فهم بين معترض لإثبات ذاتية المرأة في الموروث العقائدي، وبين تغييرها بالجملة، ليتبين عمق الإشكالية في توظيف مصطلح أدب المرأة (أدب الأنثى) لانفتاحه على التوسع الدلالي والتأويلي.

أما النتائج التي يمكن الإشارة إليها:

- الأدب النسوي مُصطلحٌ فضفاض طرح العديد من الآراء وأسأل حبر الكثير من الدارسين والباحثين.

- الإبداع عموماً لا يخصّ جنساً بعينه، فهو مفتوح، والبقاء للأحسن والأصلح، اتضح هذا من خلال مختلف الإنجازات على الساحة الأدبية والعلمية.

الاقتراحات:

-توحيد مصطلح "الأدب النسوي" بين الدارسين.

-توطيد العلاقة بين جنسي المبدعين في جميع مجالات الحقول المعرفية.

5.المراجع:

- ¹ بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية، للطباعة والنشر والإشهار، ط1، تونس، 2003م، ص15.
- ² نعيمة هدى المدغري، "النقد النسوي حوار المساواة في الفكر والأدب"، منشورات فكر دراسات وأبحاث، ط1، الرباط، 2009م، ص10.
- ³ شيرين أبو النجا، عاطفة الاختلاف قراءة في كتابات نسوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، مصر، 1998م، ص12.
- ⁴ بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية، ص15، مرجع سابق.
- ⁵ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي حوار المساواة في الفكر والأدب، ص80، مرجع سابق.
- ⁶ بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية، ص15، مرجع سابق.
- ⁷ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي حوار المساواة في الفكر والأدب، ص18، مرجع سابق.
- ⁸ فاطمة حسين العفيف، الشعر النسوي المعاصر نازك الملائكة، سعاد الصباح ونبيلة الخطيب، نماذج، عالم الكتب الحديث، إريد، ط1، الأردن، 2001م، ص38.
- ⁹ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي حوار المساواة في الفكر والأدب، ص10، 11، مرجع سابق.
- ¹⁰ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي حوار المساواة في الفكر والأدب، ص10، 11، مرجع سابق.
- ¹¹ بثينة شعبان، مائة عام من الرواية النسائية العربية، دار الآداب، ط1، بيروت، 1999م، ص24.
- ¹² نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي حوار المساواة في الفكر والأدب، ص99، مرجع سابق.
- ¹³ حفناوي بعلي، "النقد النسوي وبلاغة الاختلاف في الثقافة العربية المعاصرة"، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، تونس، العدد 2008، 185م، ص33.

- ¹⁴ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي حوار المساواة في الفكر والأدب، ص102، مرجع سابق.
- ¹⁵ حفناوي بعلي، النقد النسوي وبلاغة الاختلاف في الثقافة العربية المعاصرة، ص34، مرجع سابق.
- ¹⁶ بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغربية، ص15، مرجع سابق.
- ¹⁷ فاطمة حسين العفيف، الشعر النسوي المعاصر نازك الملائكة، سعاد الصباح ونبيلة الخطيب، نماذج، ص16، 15، مرجع سابق.
- ¹⁸ حفناوي بعلي، النقد النسوي وبلاغة الاختلاف في الثقافة العربية المعاصرة، ص33، مرجع سابق.
- ¹⁹ فاطمة حسين العفيف، الشعر النسوي المعاصر نازك الملائكة، سعاد الصباح ونبيلة الخطيب، نماذج، ص23، مرجع سابق.
- ²⁰ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي حوار المساواة في الفكر والأدب، ص98، مرجع سابق.
- ²¹ رشيدة بن مسعود، المرأة والكتابة (سؤال الخصوصية وبلاغة الاختلاف)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، المغرب، 1994م، ص232.
- ²² شرين أبو النجا، عاطفة الاختلاف قراءة في كتابة نسوية، ص46، 13، 11، مرجع سابق.
- ²³ بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغربية، ص19، مرجع سابق.
- ²⁴ رشيدة بن مسعود، المرأة والكتابة سؤال الخصوصية وبلاغة الاختلاف، ص76، مرجع سابق.
- ²⁵ بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغربية، ص17، مرجع سابق.
- ²⁶ رشيدة بن مسعود، المرأة والكتابة سؤال الخصوصية وبلاغة الاختلاف، ص76.
- ²⁷ بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغربية، ص23، 22، مرجع سابق.
- ²⁸ سارة جامبل، النسوية و ما بعد النسوية دراسات ومعجم أدبي، ترجمة أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2002م، ص223.
- ²⁹ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي حوار المساواة في الفكر والأدب، ص19، مرجع سابق.
- ³⁰ شرين أبو النجا، عاطفة الاختلاف قراءة في كتابات نسوية، ص23، مرجع سابق.

- ³¹ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي حوار المساواة في الفكر والأدب، ص 20، 19، مرجع سابق.
- ³² بعوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغربية، ص 16، مرجع سابق.
- ³³ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي حوار المساواة في الفكر والأدب، ص 18، مرجع سابق.
- ³⁴ نازك الأعرجي، صوت الأنتى دراسات في الكتابة النسوية العربية، الأهالي للطباعة والنشر، ط 1، سوريا، 1997م، ص 24.
- ³⁵ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي حوار المساواة في الفكر والأدب، ص 102، 100، 79، 19، 18، مرجع سابق.
- ³⁶ حفناوي بعلي، النقد النسوي وبلاغة الاختلاف في الثقافة العربية المعاصرة، ص 46، مرجع سابق.
- ³⁷ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي حوار المساواة في الفكر والأدب، ص 10، 99، مرجع سابق.
- ³⁸ شرين أبو النجا، عاطفة الاختلاف (قراءة في كتابات نسوية)، ص 39، مرجع سابق.
- ³⁹ فاطمة حسين العفيف، الشعر النسوي العربي المعاصر نازك الملائكة، سعاد الصباح، ونبيلة الخطيب نماذج، ص 18، مرجع سابق.
- ⁴⁰ عبد النور إدريس، الكتابة النسائية حفزية في الأنساق الذات الأنثوية-الجسد-الهوية، مكتبة وراقعة سجل ماسة، ط 1، المغرب، 2004م، ص 85.
- ⁴¹ جلييلة الطريطر، كتابة الهوية الأنثوية في السيرة الذاتية العربية الحديثة، ص 7.
- ⁴² أحلام معمري "إشكالية الأدب النسوي بين المصطلح واللغة" مجلة مقاليد، منشورات جامعة ورقلة، العدد 2011، 2م، ص 49، 153، 152، مرجع سابق.
- ⁴³ فاطمة حسين العفيف، الشعر النسوي العربي المعاصر، نازك الملائكة، سعاد الصباح، ونبيلة الخطيب، نماذج، ص 30، 25، مرجع سابق.